

الإيديولوجيا والعلاقات الدولية

علاء عبد الحفيظ محمد *

مقدمة

كان للإيديولوجيا تأثير مهم في تحديد أنماط العلاقات الدولية خلال القرن العشرين، تحالفية كانت أم صراعية، حيث كانت الإيديولوجيا كامنة بقوة في الحربين العالميتين، وفي فترة الحرب الباردة، حيث ظهرت الإيديولوجيات الشيوعية والفاشية والنازية في مواجهة الإيديولوجيتين الليبرالية والمحافظة. ولكن التأثير الإيديولوجي في العلاقات الدولية لم يمتد على وتيرة واحدة، فبينما بلغ ذروته في الفترات السابق الإشارة إليها، فإن بعض الفترات شهدت تراجعاً كعقدي الخمسينيات والستينيات اللذين شهدا رواجاً اقتصادياً أدى إلى انتشار فكرة "نهاية الإيديولوجيا"، ثم عادت الإيديولوجيا بقوة عقب وصول اليمين المحافظ في الولايات المتحدة الأميركية إلى الحكم في أوائل الثمانينيات، ثم تراجعت مرة أخرى عقب انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي وانتهاء الاتحاد السوفياتي، حيث انتشرت مقولتان مهمتان في الفكر الغربي، وهما:

١ - مقولة نهاية التاريخ التي تحدث عنها لأول مرة المفكر الأميركي فرانسيس فوكوياما، والذي نشر مقالاً في مجلة "المصلحة الوطنية" تحول إلى كتاب شهير بعد ذلك أكد فيه أن التاريخ قد وصل لنهايتته، بعد انتصار الليبرالية انتصاراً ساحقاً على الشمولية، وهيمنة النموذج الرأسمالي^(١)، ويرتبط بهذه المقولة فكرة بيتر برجر التي كان قد صاغها قبل ذلك في كتابه: "الثورة الرأسمالية" الصادر عام ١٩٨٦، والذي ذهب فيه إلى أن الرأسمالية أصبحت نظرية كونية قابلة للتطبيق في كل مكان، بغض النظر عن الفروق الثقافية بين أمم العالم، لأنها هي التي تضمن الحرية والعدالة والرخاء^(٢).

٢ - أن الصراع الدولي في القرن الحادي والعشرين لن يقوم على أساس إيديولوجي، وإنما سيقوم على أساس حضاري، وهي الفكرة الشهيرة التي طرحها المفكر الأميركي صامويل هنتنغتون، وتقوم على أن الصراعات المستقبلية سوف تشعلها عوامل ثقافية أكثر منها اقتصادية أو إيديولوجية، وأن أخطر الصراعات الثقافية هي تلك التي تحدث على

(* أستاذ العلوم السياسية المساعد، وقائم بعمل وكيل كلية التجارة لشؤون التعليم والطلاب. جامعة أسيوط. مصر.

abdelhafizalaa@gmail.com

(١) Francis Fukuyama, *The End of History and the Last Man* (New York: Free Press, 1992).

(٢) Peter Berger, *The Capitalist Revolution: Fifty Propositions About Prosperity, Equality and Liberty* (New York: Basic, 1986).

طول خطوط التقسيم الحضاري، وأن الشعوب التي تفصل بينها الإيديولوجيا تجمع بينها الثقافة وتقرب بينها(٣).

وتنطلق هذه الدراسة من فرضية أساسية، وهي أن انتهاء الصراع الإيديولوجي بين المعسكرين الشرقي والغربي، وتغير المنظومة القيمية للنظام الدولي، لا يعنيان نهاية للإيديولوجيا كمكون محرك في العلاقات الدولية لما بعد الحرب الباردة، وذلك لعدة أسباب، من بينها أن مقولة نهاية الإيديولوجيا هي في حد ذاتها مقولة إيديولوجية لأن العالم يشهد تعميم إيديولوجيا القطب المهيمن، ألا وهي الإيديولوجيا الليبرالية. كما أن الإيديولوجيا ستظل، ولو نسبياً، عاملاً مؤثراً في العلاقات الدولية، مع توسيع الهوة بين الشمال المتقدم والجنوب المتخلف، بسبب توجيه دول الشمال جل اهتمامها صوب دول أوروبا الشرقية، وإهمالها لدول الجنوب التي تتأزم أوضاعها المعيشية.

كما أن الإيديولوجيا لديها قدرة مستمرة على إخضاع السياسة الدولية بل والإقليمية والوطنية لموجات متعاقبة من الصراعات والنزاعات المعقدة، وذلك على اعتبار أنها ترجمة لتنازع المصالح الذي لا يمكن أن يزول في أي مجتمع أو عالم. كما أن صعود الأصوليات الدينية، واليمين السياسي والحركات القومية المتطرفة في مناطق مختلفة من العالم، بما فيها الدول المتقدمة كالولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي يوضح أن المستقبل سيشهد دورات جديدة من صعود الإيديولوجيا وزيادة تأثيرها في العلاقات الدولية. ووفقاً لما سبق، فإن هذه الدراسة ستسعى إلى اختبار صدقية فرضيتها الأساسية، وبناء السيناريوهات المستقبلية لتأثير الإيديولوجيا في القرن الحادي والعشرين من خلال المحاور الأربعة التالية:

المحور الأول: المدخل الإيديولوجي في دراسة العلاقات الدولية.

المحور الثاني: نبذة تاريخية عن تأثير الإيديولوجيا في العلاقات الدولية خلال القرن العشرين.

المحور الثالث: أمثلة لصعود الفكر الإيديولوجي في الفترة الراهنة.

المحور الرابع: رؤية مستقبلية حول تأثير الإيديولوجيا في العلاقات الدولية في القرن الحادي والعشرين.

المحور الأول: المدخل الإيديولوجي في دراسة العلاقات الدولية

توجد تعريفات متعددة لمفهوم الإيديولوجيا لدرجة أن البعض يعتبر أن الإيديولوجيا من أكثر المفاهيم المثيرة للجدل في تاريخ الفكر الاجتماعي(٤)، فقد أكد بعض الدارسين على النواحي الأبتمولوجية (المعرفية) للإيديولوجيا، وأكد آخرون على جوانبها النفسية أو الثقافية. ويرى بعض الدارسين ضرورة التمييز بين الإيديولوجيا كمفهوم وبين الإيديولوجيا

(٣) Samuel P. Huntington. *The Clash of Civilizations and the remaking of World Power* (New York: Schuster Rockefeller Center, 1996).
(٤) David Mclellan, *Ideology* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1986).

- Samuel P. (٥)
Huntington,
*Conservatism as an
Ideology, The
American Science
Review vol. LI, no.2
(June 1957): 454-473.*
Sargent Lyman, (٦)
*Contemporary
Political Ideologies
(Illinois: The Dorsey
Press, 1972), I.*
Ibid. (٧)
Robert E. Lane, (٨)
*Political Ideology:
Why The American
Common People
Believes What He
Does (New York: Free
Press of Glencoe,
1962), 14-15.*
(٩) إيمان أحمد رجب،
"الهوية أم المصلحة: ما
الذي يتحكم في علاقات
الدولة الخارجية"، السياسة
الدولية، العدد
١٨٦ (القاهرة: أكتوبر
٢٠١١)، ص ١١.
Christopher Gelpi, (١٠)
Peter Feaver and Jason
Reifler. *Paying the
Human Costs of War:
American Public
Opinion and Casualties
in Military Conflicts.*
(Princeton: Princeton
University Press,
2009).
Nicholas Fred (١١)
Martini, "The role of
ideology in foreign
policy attitude
formation. "PhD =

كبدءاً سياسياً. وبالتالي فإن تعريف الإيديولوجيا كمفهوم يعني أنها تشكل نشاطاً ثقافياً لنظام يختلف تماماً عن تحليل الإيديولوجيا كجسد من المعتقدات السياسية "المحافظة والليبرالية والاشتراكية".

ووفقاً لما سبق يعرف صامويل هنتنغتون الإيديولوجيا بأنها: "نظام للأفكار اكتسبته مجموعة اجتماعية مهمة، ويتعلق بعملية توزيع القيم السياسية والاجتماعية" (٥)، أما سارجينت فيعرف الإيديولوجيا بأنها "نظام للقيم أو المعتقدات يتم قبوله كحقيقة بواسطة جماعة معينة" (٦)، وتتكون الإيديولوجيا في رأي سارجينت من "مجموعة من المواقف تجاه مختلف المؤسسات والعمليات في مجتمع ما، وهي تمد من يؤمن بها بصورة عن العالم كما هو، وكما ينبغي أن يكون، وبفعلها هذا فإنها تنظم التعقيد الهائل للعالم إلى شيء بسيط ومفهوم، وتختلف الصورة الناتجة في تنظيمها وبساطتها بدرجة ملحوظة من إيديولوجيا إلى أخرى، ولكن يجب أن يتم التمييز بين اعتقاد الفرد في شيء ما وبين الإيديولوجيا، فالإيديولوجيا يجب أن تكون مجموعة مترابطة من المعتقدات التي تمد المؤمن بها بصورة متماسكة عن العالم بأسره" (٧).

أما بالنسبة للإيديولوجيا السياسية، فيعرفها روبرت لان بأنها بنية من المفاهيم تتعامل مع أسئلة مثل: من هم الذين سيكونون حكاماً؟ وكيف يتم اختيارهم؟ وبأي مبادئ سيحكمون؟. وتتبنى هذه المفاهيم برنامجاً إما للدفاع عن بعض المؤسسات الاجتماعية المهمة، أو إصلاح تلك المؤسسات أو إلغاؤها (٨)، وتعتبر الإيديولوجيا السياسية عن الإيديولوجيا التي تلتزم بها النخبة السياسية، وهي تؤثر في سلوكهم السياسي، وتحدد إطار علاقاتهم السياسية بعناصر المجتمع، وهي تتسم دائماً بالطابع الثوري، وتهدف لتغيير واقع المجتمع وسلوكه.

وتعد الإيديولوجيا من العوامل المؤثرة في الهوية، فعندما يعتنق الفرد إيديولوجية ما، فإنها تعكس لديه مجموعة من القيم والمبادئ عن العالم، وبالتالي تجعله يعيد تكييف معتقداته وهويته لصالح هذه الإيديولوجيا، أي تحدث عملية تغيير للهوية لصالح الإيديولوجيا الجديدة، وأحياناً قد تدخل الجماعات ذات الهويات المتميزة في صراع بسبب الإيديولوجيا (٩)، وتتضح أهمية الإيديولوجيا في العلاقات الدولية من خلال تأثيراتها في السياسة الخارجية لكل دولة على حدة من خلال ما تقوم به من تأثير في التفضيلات الخاصة بالأمر الخارجية التي يتم الاهتمام بها (١٠)، كما أنها تؤثر في إدراكات وتصورات القادة السياسيين، وتفسيرهم لما يتلقونه من معلومات جديدة (١١)، وانطلاقاً من ذلك، فإن الإيديولوجيا المسيطرة في دولة ما تكون من عوامل التقارب والتعاون بين الدول التي تدين بإيديولوجيات مماثلة، كما قد تكون من عوامل التصارع فيما إذا تباعدت تلك الإيديولوجيات في مضمونها وأهدافها (١٢).

وقد أدت الاختلافات الحادة بين الأفكار التي تتضمنها الإيديولوجيات المختلفة إلى إثارة جدل بين العلماء والدارسين في مجال العلاقات الدولية والعلوم الاجتماعية بشكل عام، حيث نظر بعضهم بقلق إلى سيطرة أنماط إيديولوجية تُوصف عادة بالجمود والثبات، مما قد يتسبب في أزمات بسبب الانطلاق من هذه الإيديولوجيات المنغلقة، وتوجه آخر يرى أن وجود إطار فكري وإيديولوجي منفتح يوجه السياسة الخارجية أمر ضروري من أجل تحديد الحلفاء والأعداء، وتحديد أولويات دوائر الاهتمام في السياسة الخارجية^(١٣).

وقد نظر بعض منظري السياسة الخارجية للإيديولوجيا على أنها الإطار العام لتحليل تأثير الأبعاد الثقافية والحضارية والقيمية والعقيدية والدينية في السياسة الخارجية، وأن لتلك الأبعاد تأثيراً قوياً في مسار السياسة الخارجية، كالشعور القومي الذي يؤثر في تحديد مصالح الدولة، واختيار وسائل الدفاع عنها، والشعور بالانتماء إلى دين ما أو إلى تصور ما عن العالم. كما يفترض المدخل الإيديولوجي أن الوقائع التاريخية ليست ذات قيمة في حد ذاتها، وإنما باعتبارها ميداناً لإثبات صحة إيديولوجية معينة، وأن التسليم بإيديولوجية معينة تتضمن رؤية لطبيعة التطور التاريخي يعني رصد تطور السياسة الخارجية من منظور الرؤى التي تقدمها تلك الإيديولوجية^(١٤).

وتوجد عدة عوامل وحسابات متداخلة يتوقف عليها دور الإيديولوجيا في السياسة الخارجية لدولة ما، من بينها طبيعة أهداف الإيديولوجيا، وعدد الدول التي تشتمل على تابعين لهذه الإيديولوجيا، وعدد التابعين في كل دولة، ونوعية المراكز التي يشغلونها، وموقعهم من السلطة، ومدى تأثير الإيديولوجية كقوة محرّكة لسلوكهم، هذا بالإضافة إلى نوعية الدول التي تتغلغل فيها، ومدى قدرة التيارات الداخلية وقادة الفكر في التأثير والضغط على صانعي قرار السياسة الخارجية، ومدى قدرة الأفكار والقيم الإيديولوجية على التلاحم مع الأحوال السياسية العامة^(١٥).

وقد توصلت إحدى الدراسات عقب المقارنة بين تأثير الإيديولوجيا في كل من السياسة الخارجية والسياسة الاقتصادية للدول إلى أن تأثير الإيديولوجيا على السياسة الخارجية يكون أقوى، وذلك لأن صانعي السياسة الخارجية يتوصلون إلى استنتاجات تكون مبنية على شواهد وتحليل، ولأن أهداف السياسة الخارجية تختلف عن أهداف السياسة الاقتصادية، فغالباً ما يكون هناك دور أكبر للإيديولوجية في صياغة تلك الأهداف^(١٦).

وقد يزداد تأثير الإيديولوجيا في توجه السياسة الخارجية لدولة ما تجاه دولة أخرى بدرجة أكبر بالمقارنة بسياستها تجاه دول أخرى. وعلى سبيل المثال، فقد توصلت إحدى الدراسات إلى وجود تأثير قوي للإيديولوجيا في اتجاهات وتفضيلات السياسة الخارجية الأميركية تجاه الصين^(١٧).

ويؤكد شيلزنجر أنه كلما ازداد تأثير الإيديولوجيات بصفة عامة في السياسات الخارجية

= diss., University of Iowa, 2012.

<http://ir.uiowa.edu/etd/3347>.

Martin Needler, (١٢)

Understanding

Foreign Policy (Holt:

Rinehart and

Winston. Inc., 1966),

116-119.

(١٣) أحمد تهامي عبد الحي، تجليات لا متماثلة، تأثير العامل الإيديولوجي في السياسة الخارجية لدول الثورات. السياسة الدولية، العدد ١٩٣ (القاهرة: يوليو ٢٠١٣).

(١٤) روي مكريديس، مناهج السياسة الخارجية في دول العالم، ترجمة حسن صعب (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٦)، ص ٢٧ - ٢٨.

(١٥) غسان سلامة، "الإيديولوجيا والسياسة الخارجية الأميركية: الإدارة الأميركية الحالية" في غسان سلامة وآخرون، السياسة الأميركية والعرب (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١)، ص ٣١٩ - ٣٢٠.

Richard S. (١٦)

Grossman. "Why

foreign policy must

be more ideological

than economic

policy". Oxford

University OUP blog

(October 2nd, 2013).

Peter H. Gries, (١٧)
H. Michael Crowson
and Huajian Cai.
"God, guns, and
China? How ideology
impacts American
attitudes and policy
preferences toward
China". London:
International
Relations of the Asia
Pacific, (December
2011).

Arthur (١٨)
Schlesinger, J.,
"Foreign Policy and
the American
Character", *Foreign
Affairs* no. 62 (1)
(1982): 1-10.
Ibid. (١٩)

(٢٠) د. قدري حفني،
"الصهيونية"، القاهرة،
المركز الدولي للدراسات
المستقبلية والإستراتيجية،
سلسلة مفاهيم، العدد ١٧
(القاهرة: مايو ٢٠٠٦)، ص
٣٥ - ٣٧.

(٢١) د. محمد السيد
سعيد، "مصير
الأيديولوجيا في السياسة
الدولية"، السياسة الدولية،
العدد ١٦٦ (القاهرة: يونيو
٢٠٠٥).

للدول ازداد احتمال العجز عن إدراك حقائق العلاقات الدولية، وتبني سياسات متشددة وخطئة^(١٨)، وعلى الرغم من هيمنة التقليد الإيديولوجي على السياسة الخارجية الأميركية في بعض المراحل، إلا أن صانعي السياسة الخارجية لم يجدوا مناصاً من الاعتراف في بعض الحالات بحقائق العلاقات الدولية ومقتضيات المصلحة الوطنية الأميركية^(١٩).

ومن الأمثلة الأخرى التي شهدتها التاريخ المعاصر تغلب براجماتية هرتسل مؤسس الإيديولوجية الصهيونية بقبوله مبدئياً اختيار أوغندا كوطن لليهود على إيديولوجيته بقبوله التخلي عن خيار فلسطين "أرض الميعاد"، وهو الأمر الذي لم يستسيغه جمهور المؤتمر الصهيوني آنذاك. كما أعلن دافيد بن جوريون عن قبوله لقرار تقسيم فلسطين فور صدوره، رغم رفض اليمين الصهيوني المتطرف بقيادة زئيف جابوتنسكي الذي التزم بالمنطلقات الفكرية الأصولية للصهيونية، والذي يعد بمثابة الأب الروحي لمناحم بيجين واسحاق شامير وإريل شارون الذين عبروا طوال وجودهم بعيداً عن موقع السلطة عن التزامهم بتلك المنطلقات، إلا أنهم اضطروا على التوالي إلى الموافقة على بنود معاهدتي السلام مع مصر والأردن والانسحاب من غزة، وهي الأمور التي تتعارض تماماً مع معتقداتهم الإيديولوجية^(٢٠).

المحور الثاني: نبذة تاريخية عن تأثير الإيديولوجيا على العلاقات الدولية خلال القرن العشرين

إذا قمنا بتتبع الأثر الكبير الذي أحدثته الإيديولوجيا في العلاقات الدولية خلال القرن العشرين، سيتضح لنا أن هذا الأثر كان واضحاً في الحربين العالميتين الأولى والثانية والحرب الباردة، وتفاعلات السياسة الدولية التي تصادمت فيها الإيديولوجيات، والتي برزت في مواجهة الإيديولوجيات الشيوعية والفاشية والنازية لكل من الإيديولوجيتين الليبرالية والمحافظية.

وقد تبنت الأحزاب والقوى الليبرالية في أوروبا الغربية ومناطق أخرى من العالم في النصف الثاني من الخمسينيات والنصف الأول من الستينيات مقولة نهاية الإيديولوجيا، وذلك بسبب تمتع العالم برواج اقتصادي طويل الأجل نسبياً في الدول الغربية والشرقية على السواء، ونسب هذا النمو الاقتصادي الخارق إلى الإنجازات العلمية والتكنولوجية. كما أدى استقلال العالم الثالث إلى تهافت الإيديولوجية الاستعمارية، وما وراءها من إيديولوجيات مثل إيديولوجية عبء الرجل الأبيض. كما تراجع مستوى تأييد الحركات والأحزاب الشيوعية والراديكالية الأخرى في أوروبا الغربية، وذلك بسبب تحسن أوضاع الشرائح العليا من الطبقة العاملة والارتباط المتزايد لمصالحها بالازدهار الذي تحقق للاقتصاد الرأسمالي الأوروبي^(٢١).

وقد رفض الاتحاد السوفياتي نظرية نهاية الإيديولوجيا، وبدا مصمماً على مواصلة الإفادة من الزخم الراديكالي الذي استمر طوال عقد السبعينيات في الشرق الأوسط وأفريقيا ومن ثم أقدم على غزو أفغانستان، الأمر الذي أشعل الحرب الباردة من جديد والذي صادف هوى شديداً من جانب الإيديولوجية المحافظة الأميركية، فقد كانت هذه تستعد لرد فعل خارق ضد الهزات والهزائم التي طالتها، وسنحت لها الفرصة لأسباب عديدة من بينها الثورة الإيرانية ومثلت هذه الأخيرة فتحاً لباب جديد في البحث حول الظاهرة الإيديولوجية وهو العالم الثالث عموماً والشرق الأوسط خصوصاً، وبصورة أخص إيديولوجية الإسلام السياسي والأصوليات الأخرى: اليهودية والهندوكية والمسيحية.

أما على المستوى العالمي، فقد دخلت السياسة الدولية مرحلة جديدة تماماً بانهار الاتحاد السوفياتي والإيديولوجية الاشتراكية كلها. والواقع أن هذا التطور كان يمكن أن يواتي نظرية نهاية الأيديولوجيا شكلياً على الأقل، ولكن ما منع انتصار نظرية نهاية الإيديولوجيا هو أن الولايات المتحدة كانت تمر بمرحلة جديدة وغير متوقعة، فبدلاً من الترحيب بالتطورات الإيجابية على المستوى العالمي أخذت موجة إيديولوجية جديدة تصعد وهي موجة المحافظة عموماً والمحافظة الجديدة بوجه خاص.

المحور الثالث: أمثلة لصعود الفكر الإيديولوجي في الفترة الراهنة

١ - السياسة الخارجية الأميركية بين نفوذ المحافظين الجدد والواقعيين الجدد:

انبثق المشروع السياسي للمحافظين الجدد الذين كان لهم تأثير في صنع السياسة الخارجية الأميركية خلال إدارتي رونالد ريجان وإدارتي جورج دبليو بوش عن رؤية إيديولوجية للعلاقات السياسية الدولية تعتبر أن القوة العسكرية هي الأساس الأول للسياسة الخارجية الأميركية وليس التفاوض، وهو ما يوضح لماذا تراجع إلى حد كبير دور الخارجية الأميركية في مواجهة البنتاجون خلال إدارتي بوش. وقد رد المحافظون الجدد على اتهامهم بالراديكالية بأنهم يسعون إلى الحفاظ على الاستثنائية الأميركية وأن الولايات المتحدة كانت دائماً دولة استثنائية أكثر حرية وفردية وديموقراطية وانفتاحاً وديناميكية مقارنة بأية دولة أخرى على وجه الكرة الأرضية، ولابد من الإبقاء على هذه الاستثنائية (٢٢).

وقد أثرت تداعيات حرب العراق في الناخب الأميركي الذي أدان سياسات هذه الزمرة من الإيديولوجيين الذين أقاموا مشاريع على أساس تصورات في أذهانهم، هي أبعد ما تكون عن الحقائق بالغة التعقيد للخريطة السياسية والثقافية والاثنية للمناطق التي تدخلوا فيها. وقد تبدى سوء تقدير المحافظين الجدد في أن سياستهم في العراق قد أدت إلى تقوية موقف إيران كلاعب إقليمي مؤثر في الشرق الأوسط على عكس ما كانوا يهدفون، حيث

Ramesh (٢٢)
Ponnuru, "An
Exceptional
Debate.The Obama
administration's
assault on American
identity". National
Review/ Digital
(March 8, 2010).
[https://www.nationalreview.com/nrd/article/s/339276/exceptional-debate.](https://www.nationalreview.com/nrd/article/s/339276/exceptional-debate)

أدت انتخابات التجديد النصفى للكونغرس الأميركي في السابع من تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦ إلى فوز الديموقراطيين بالأغلبية في مجلسي النواب والشيوخ. وكان أعمق نتائج هذه الانتخابات أثراً إعادة تحول السياسة الخارجية الأميركية نحو الواقعية السياسية خلال فترة إدارتي الرئيس باراك أوباما. فقد ذكر مساعدو أوباما في البيت الأبيض رداً على الذين ينتقدون نهج أوباما ويعتبرون نهجه انهزامياً يقوم فقط على رد الفعل بأن الرئيس أوباما يركز على الفعالية البيروقراطية والاعتدال والتعقل، أكثر من تركيزه على الإيديولوجيا وتأكيد ما تتمتع به قوة الولايات المتحدة من قدرات استثنائية^(٢٣).

وعلى الرغم من الجدل الذي أثارته السياسة الخارجية التي انتهجتها إدارة أوباما حول مدى واقعيته أو مثاليته، ومدى تمايزها عن سياسة الإدارة السابقة بقيادة جورج دبليو بوش، إلا أن الواقعية في السياسات تظل إحدى السمات التي حاولت هذه الإدارة إظهار تميزها فيها عن الإدارة القديمة التي وجهت سياستها الخارجية نحو تحقيق أهداف مثالية، لاسيما نشر الديموقراطية في العالم أو على الأقل التصريح بذلك علناً. وبرغم هذه السياسة الواقعية، فقد أدى انفتاح أوباما في التعامل مع زعماء الدول غير الديموقراطية إلى توجيه اتهامات له من جانب معارضيه بتبني إيديولوجية راديكالية معادية للولايات المتحدة. وبينما يحب أوباما الظهور بمظهر الرئيس العملي الحريص على ما يحقق مصلحة بلاده من دون التشدد بإيديولوجية، يراه منتقدوه بمظهر الرئيس المثالي الذي لا يختلف في مثاليته عن نموذج الرئيس وودرو ويلسون. فالسياسة الخارجية لكل منهما تقوم على أن الدول تتعامل وفق النوايا الطيبة والصادقة التي تتصورها في سلوك الدول الأخرى، لاسيما الولايات المتحدة^(٢٤).

وقد اختار أوباما فريقاً من المستشارين للسياسة الخارجية ضم أسماء بعض الأشخاص ممن أطلق عليهم "الواقعيون الجدد"، ومن بينهم زبغنيو بريجنسكي الذي كان "مستشار الأمن القومي" للرئيس جيمي كارتر، وسامنتا باور الأكاديمية المختصة في حقوق الإنسان من جامعة هارفارد، التي تدافع بحماسة عن وجهات نظر زميلها في جامعتي هارفارد وشيكاغو جون ميرشايمر وستيفن والت التي تدعو إلى مراجعة العلاقات الأميركية الإسرائيلية من خلال التوقف عن خدمة مصالح "اللوبي الإسرائيلي" في تقرير السياسة الخارجية الأميركية، وهو الأمر الذي يشكل حجر الزاوية في رؤى تيار "الواقعيين الجدد". إن النفوذ القوي الذي يتمتع به تيار "الواقعيين الجدد" في فريق أوباما مسألة لم تعد غامضة، وهو مؤشر قوي على تعاظم نفوذ هذا التيار في أوساط السياسة الخارجية الأميركية في رد فعل واضح على فشل سياسات "المحافظين الجدد". ومن هذه الزاوية من الطبيعي صدور رد فعل عنيف من قبل أوساط "اللوبي الإسرائيلي" المناصر بشكل قوي لصف "المحافظين الجدد" في السنوات الأخيرة، مثلما كان الحال في موازين السياسة

(٢٣) فواز جرجس، "أسس ومركزات سياسة أوباما الخارجية في ولايته الثانية". مركز الجزيرة للدراسات (الدوحة: يناير ٢٠١٣).

<http://studies.aljazeera.net/reports/2013/01/201313193418907553.htm>, accessed 20/3/2014

(٢٤) أحمد علي سالم، "السياسة الخارجية لأوباما بين المثالية والواقعية"، السيادة الدولية، العدد ١٧٨ (القاهرة: أكتوبر ٢٠٠٩)، ص ١٣٨ - ١٣٩.

الداخلية الإسرائيلية حين أصبح الصراع بين أطراف "متطرفة" وأخرى "أكثر تطرفاً" (٢٥). ويرى بعض الدارسين أن معظم الرؤساء الأميركيين، بمن فيهم الذين يوصفون بأنهم واقعيون كأوباما، تكون لديهم رغبة بدرجة ما في التدخل في الشؤون الدولية لأغراض إيديولوجية، والدليل على ذلك اختيار أوباما لفريق سياسة خارجية يحمل أعضاؤه التدخل الدولي الإنساني مثل سوزان رايس على سبيل المثال، مما يدل على أنه يشاركهم هذا التوجه الإيديولوجي (٢٦).

ويؤكد بعض الدارسين على أن العوامل الموضوعية المتعلقة بالتدخل الأميركي في الشؤون الدولية تفوق في أهميتها العوامل الذاتية. وعلى سبيل المثال يرى بوشيت أن "من الخطأ الاعتقاد بأن مسألة تشجيع النموذج الأميركي في الخارج يأتي بسبب قادة معينين، بقدر ما يكون العامل الأقوى في ذلك هو البيئة الدولية المتغيرة التي تواجه السياسة الخارجية الأميركية، والتي يمكن أن تؤدي على المدى الأطول لحدوث تحول عن هدف تشجيع الديمقراطية" (٢٧).

ومن الأمور التي تثير قلق إدارة أوباما والتي أوضحها برجينسكي مستشار أوباما القلق المتزايد من صعود الشرق والتأثيرات السلبية التي قد يتعرض الوضع الاستثنائي الأميركي في العالم منذ انتهاء الاتحاد السوفياتي، حيث ذكر أن على الولايات المتحدة أن يكون لها رؤية جيوسياسية طويلة الأمد، وهو ما يتطلب أن تكون الولايات المتحدة قوية اقتصادياً واجتماعياً، وقادرة على القيام بروابط خارجية ذكية (٢٨).

٢ - اليمين الأوروبي وتأثيراته على صعود الفكر الإيديولوجي:

شهدت المجتمعات الديمقراطية الرأسمالية في القارة الأوروبية إلى جانب صعود الإيديولوجية المحافظة الجديدة في الولايات المتحدة الأميركية صعوداً للأحزاب والحركات اليمينية، والتي استغلت فرصة وجود فراغ إيديولوجي نشأ عن سقوط التيار اليساري الراديكالي الناقد للحدثة والرأسمالية، لتقديم نفسها كبديل قادر على التعامل مع المتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية. وقد شهدت نهاية التسعينيات من القرن العشرين ارتفاع التصويت لصالح الأحزاب اليمينية، ونادت تلك الأحزاب بمجتمعات عضوية قومية عرقية تركز جذرياً على مفهوم الأمة، كما دعت تلك الأحزاب إلى مناهضة الليبرالية والعودة ومكافحة التعددية. وتعتنق هذه الأحزاب موقفاً صريحاً ضد المهاجرين، استناداً إلى أن الثقافات غير قابلة للامتزاج وأن الحل هو الشعبوية الإقصائية (٢٩).

يجمع كثير من المحللين على أن صعود اليمين المتطرف ليس صعوداً عابراً، وإنما هو ظاهرة لها جذورها في الفكر السياسي الأوروبي، وهي تعبر عن مأزق وعجز وإفلاس الحدثة الغربية وعدم قدرتها على الوفاء بالمطالب والوعود التي أخذتها على نفسها. وقد استغل الخطاب اليميني الراديكالي هذه الفرصة السياسية، وبدأ يقدم بديلاً يستجيب

(٢٥) طارق الكحلوي،

السياسة الخارجية في

عهد أوباما ... عصر

الواقعيين الجدد

<http://www.aljazeera.net/opinions/pages/a1f4a088-49a9-b261->

<http://www.aljazeera.net/opinions/pages/a1f4a088-49a9-b261->

<http://www.aljazeera.net/opinions/pages/a1f4a088-49a9-b261->

"Jonathan (٢٦)

Chat."What Is

Obama's Foreign

Policy Ideology"?

<http://nymag.com/daily/intelligencer/2014/03/what-is-obamas-for-eign-policy-ideology.html>.

Accessed

19/1/2014.

Nicolas Bouchet, (٢٧)

"The democracy

tradition in US

foreign policy and the

Obama presidency".

International Affairs

vol. 89, Issue 1,

(January 2013):

31-51.

Zbigniew (٢٨)

Brzezinski, Strategic

Vision: America and

the Crisis of Global

Power (New York:

Basic Books, 2013).

(٢٩) د. أميمة عبود،

الليبرالية المهددة: صعود

اليمين المتطرف الجديد في

الديمقراطيات الغربية،

السياسة الدولية، العدد

١٨٨، أبريل ٢٠١٢، ص

٤٢

لطلب الجماهير بعيداً عن سياسات الليبرالية الجديدة واقتصاد السوق، ويستخدم مفردات ومفاهيم مثل العضوية المجتمعية، والثقة المتبادلة والتضامن العضوي، وهو بالتالي يسعى إلى تفكيك النماذج والقواعد الحاكمة، وهي نموذج القومية المدنية *Civic Nationalism*، والدستورية الوطنية *Constitutional Patriotism*، والديموقراطية التواصلية أو التشاورية *Deliberative Democrac*، وهي الأركان الرئيسية للمشروع الرسمي للاندماح الأوروبي.

ويحاول خطاب اليمين المتطرف تحقيق نظام أوروبي يقوم على أساس ديموقراطية عضوية لا تعاني تشابكات وتعقيدات الهوية والدين، أو الآثار السلبية لتعدد الثقافات والعولمة. ويتحقق ذلك - من وجهة نظره - من خلال دولة أوتوقراطية تتبع سياسات ثقافية وإثنية متجانسة، وتتبع في الوقت نفسه سياسات إقصائية واستبعادية للمهاجرين والأجانب. يعادي هذا الخطاب المفاهيم الليبرالية مثل التعدد الثقافي والتعدد الاثني والعلمانية والفردية. وبالرغم من التخلص من بعض مفردات اللغة العتيقة الفاشية التقليدية، فإن هذا الخطاب قد أبقى على البناء الأساسي للجماعة الفاشية وطموحاتها وعلى أسلوبها في التحليل الثقافي، ويرفض هذا الخطاب أسلوب الحداثة الذي أدى إلى نوع من الانقطاع والضعف للشعوب الغربية، مما أخفى الكثير من القيم الأصلية والحقيقية لها^(٣٠).

٣ - صعود الأصولية الدينية:

شهدت الديانات الرئيسية في العالم: اليهودية والمسيحية والإسلام والهندوسية حركة صحوة أو إحياء، وتنامي دور الجماعات الأصولية، بالشكل الذي مثل ظاهرة عالمية غير مرتبطة بإقليم معين أو بدين معين، وترغب الحركات الأصولية في الرجوع إلى أصل العقيدة، واستخدامها كقانون يحكم حركة المجتمع وشؤونه، وقد لا تتمسك هذه الحركات بالنص ذاته، وإنما بتفسيرها الخاص له. وتعرف الجماعات الأصولية نفسها بأنها ضد الحداثة، وتتخوف من تنامي علمانية المجتمع، كما تُعرف نفسها على أنها جماعة متميزة عن مجتمعتها لها قيمها، ونظمها الخاصة للترقي اجتماعياً، ولهذه الحركات أهداف سياسية، إذ تسعى لاستخدام الشعارات الدينية لجذب المؤيدين، ومن ثم الوصول إلى الحكم^(٣١).

وقد صارت الأصولية المسيحية هي التيار الأقوى تعبواً في وجه التيارات الليبرالية والتقدمية في الولايات المتحدة الأميركية. ومع ذلك، فهي لا تشكل صدارة المشهد الأيديولوجي، سواء داخل الحزب الجمهوري أم على مستوى الصراعات الأيديولوجية عالمياً، وذلك لأن هذا التيار لا يتمتع بقوة عالمية، كما أنه مخيف لغالبية تيارات السياسة الأميركية الأخرى، ولذلك ارتضى هذا التيار أن يستمر دوره الظاهر بأقل كثيراً من قوته الانتخابية. وحيث إن تيار المحافظين الجدد يترجم بلغة مقبولة ظاهرياً طموحاتهم الحركية والسياسية الدولية، خاصة في العالم العربي وفي ما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي،

(٣٠) المرجع السابق، ص ٤٥.

(٣١) إيمان أحمد رجب، "الحركات الأصولية: التعريف وصور التأثير في العلاقات الدولية"، القاهرة، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية، سلسلة مفاهيم (القاهرة: ٢٠١٠)، ص ٢١.

فقد رضوا بأن يحتل المحافظون الجدد الواجهة أو المنصة الإيديولوجية في ما يتعلق بالسياسة الخارجية والعسكرية^(٣٢).

وقد حولت المقولة الأساسية لعصر الحداثة الغرب إلى مركز للعالم لا يمكن للأطراف الفكك منه أو من نمونجه، حتى لو حاولت أو ادعت ذلك، وكان بناء وإعادة بناء النظام الدولي، بأنظمتها الفرعية الإقليمية وشكل الدولة فيه رداً على متطلبات التطور في الاقتصاد الرأسمالي العالمية منذ مرحلته التوسعية. وقد استخدمت الدول الغربية الرأسمالية كل ما بيدها من وسائل للعمل على تفكيك النظام السوفياتي. ويندرج هذا العمل بدرجة أساسية في إطار توسيع السوق الرأسمالية إلى البلدان الاشتراكية في أوروبا الغربية بالموارد الطبيعية والبشرية. وقد تم ذلك أيضاً في إطار لم شمل أجزاء الحضارة الواحدة المشتتة بفعل الصراع الإيديولوجي بين الشرق والغرب الذي لم يعد الانقسام بشأنه يفيد بسبب ظهور متغيرات دولية جديدة تقتضي تحويل إمكانات إدارته نحو خدمة مصالح اقتصادية مشتركة، وكذا نحو مواجهة تهديد يأتي من المد الإسلامي الجديد^(٣٣).

وكانت ظاهرة الأصولية الإسلامية هي الأداة التي حارب بها الإسلاميون فكرة المركزية الأوروبية. ويثور في هذا الشأن التساؤل التالي: لماذا تقود الأزمات في المجتمعات الإسلامية إلى بروز "الإسلاموية" وليس الليبرالية أو الاشتراكية؟ ويرد البعض على هذا التساؤل بأنه رد فعل على نظام كمال أتاتورك في تركيا الذي كان مغالياً في قطيعته مع الإسلام، ولأن القضية بالنسبة للإسلاميين هي الوقوف ضد المركزية الأوروبية والكمالية النابعة منها. وقد كان العجز عن الالتحاق بالحداثة "التقدم العلمي والتكنولوجي وتحقيق الديمقراطية والعدالة" في جوهره نوعاً من اتهام الإسلام بأنه يقف حجر عثرة أمام التقدم المادي. وقد بذل المصلحون الإسلاميون جهداً منذ حملة نابليون على مصر وحتى اليوم لنقض هذه المقولة، مثلما فعل محمد عبده وجمال الدين الأفغاني وغيرهما، وذلك من خلال الدعوة إلى الاستفادة من منجزات الحداثة، والحفاظ في الوقت نفسه على الهوية الإسلامية من الضياع^(٣٤).

٤ - محاولات تعميم إيديولوجيا القطب المهيمن (الإيديولوجيا الليبرالية):

يعمل الغرب الآن على نشر الإيديولوجيا الليبرالية في كافة أنحاء العالم، من خلال دعوته لتكريس الحرية والديموقراطية سياسياً، وانتهاج اقتصاد السوق والمنافسة الحرة اقتصادياً^(٣٥)، وقد باتت الديمقراطية الليبرالية أحد أهم المكونات الأساسية للمنظومة القيمية للنظام الدولي لما بعد الحرب الباردة، ويتوقف استمرار هذا النظام على مدى تقبل الفواعل الأساسية للمجتمع الدولي للديموقراطية الليبرالية التي تمثل أحد مركبات وألويات السياسة الخارجية الأميركية لفترة ما بعد الحرب الباردة. ونتيجة لهذه المكانة التي تتبوأها الديمقراطية الليبرالية في النظام الدولي الراهن، وفي

(٣٢) محمد السيد سعيد،

مرجع سابق.

(٣٣) سلوى بن جديد،

فوضى النظام السياسي

الدولي للرأسمالية

النيوليبرالية، السياسة

الدولية، العدد ١٨٢

(القاهرة: ٢٠١٠)، ص ٣٦.

(٣٤) سعيد عكاشة، "حقة

اللايقين: معضلات بناء

نموذج إسلامي بعد

الثورات العربية"، السياسة

الدولية، العدد ١٨٨

(القاهرة: ٢٠١٢)، ص ٣٥

- ٤٠.

(٣٥) سعد حقي توفيق،

النظام الدولي الجديد:

دراسة في مستقبل

العلاقات الدولية بعد انتهاء

الحرب الباردة (الأردن:

الأهلية للنشر والتوزيع،

٢٠٠٢)، ص ٣١ - ٣٢.

أجندة الإدارات الأميركية المتعاقبة منذ إدارة بوش الأب استطاعت أن تحظى ببناء نظري، روج له مفكرون أمريكيون من أمثال فوكوياما الذي يرى أن انتشار الديمقراطية الليبرالية بمؤسساتها السياسية والاقتصادية في شتى أنحاء العالم يشكل أعلى مرحلة للتطور العقائدي للجنس البشري، وبالتالي فإن أي تقدم أو تطور للمجتمعات يتوقف على مدى التزامها بقيم الديمقراطية الليبرالية. كما روج مفكرو الغرب لمقولة ثانية، وهي أن الديمقراطيات لا تحارب بعضها بعضاً، ومقولة ثالثة، وهي أن تحول الأنظمة التسلطية صوب الديمقراطية شرط ضروري لتحقيق التنمية الاقتصادية^(٣٦).

٥ - توسيع الهوة بين الشمال المتقدم والجنوب المتخلف:

لا يزال للإيديولوجيا شأن في الصراع بين الشمال المتقدم والجنوب المتخلف، صراع يُعد أحد أبرز مسلمات النظام الدولي الجديد، مع توسيع الهوة بين الشمال المتقدم والجنوب المتخلف، بسبب توجيه دول الشمال جل اهتمامها صوب دول أوروبا الشرقية، وإهمالها لدول الجنوب التي تتأزم أوضاعها المعيشية، الاقتصادية والتعليمية والصحية. ويمكن القول إن الصراع بين الشمال المتقدم والجنوب المتخلف يفرض التعامل بازدواجية المعايير، نظراً للفوارق الجوهرية بين الطرفين على المستويات العقائدية، والسياسية، والثقافية، والاقتصادية. فإذا كان خطاب دول الشمال تجاه دول الجنوب يتسم بالأنسنة نظرياً، كما هو الحال بين دول صفتي المتوسط بحكم مصلحة الطرف القوي في المعادلة في الثروات الطبيعية للطرف الضعيف، فإن الممارسة عكس ذلك تماماً. إذ أن صناعات قرار دول الشمال يسعون جاهدين إلى توسيع الهوة بين الشمال والجنوب، لأن دول الشمال تستمد قوتها، ونموها، وتطورها من خلال استنزاف خيرات وثروات دول الجنوب، وإن استدعى الأمر استخدام القوة العسكرية، وهو ما تعبر عنه طبيعة العلاقة اللا متكافئة بين طرفي المعادلة، علاقة السيطرة والتبعية^(٣٧).

المحور الرابع: رؤية مستقبلية حول تأثير الإيديولوجيا على العلاقات الدولية في القرن الحادي والعشرين

يمكن تصور السيناريوهات الثلاثة التالية:

السيناريو الأول: استمرار المشهد الأيديولوجي العالمي الراهن:

وصف السيناريو: تستمر قوة الإيديولوجيات الكونية الكبرى مثل الليبرالية والاشتراكية والشعبوية والمحافظه، وقدرة تلك الإيديولوجيات على مخاطبة الجماهير، وإدارة السياسة على نحو يعكس أفضلية السلام على الحرب. ويستبعد هذا السيناريو اختفاء الأيديولوجيات الأصولية الدينية، ولكنه يرى أن تلك الإيديولوجيات لن تتمكن من الإطاحة بهيمنة الأيديولوجيات الكونية.

Pierre Allan & (٣٦)
Kjell Goldmann
(eds), *The End of the
Cold War: Evaluating
Theories of
International
Relations,*
Netherlands, Martin
Nijhoff Publishers,
1992, p.131.

(٣٧) عبد الناصر جندلي،
"أنسنة الخطاب وازدواجية
الممارسة: المنظومة القيمية
للنظام الدولي بعد الحرب
الباردة"، السياسة الدولية،
العدد ٢٠١ (القاهرة:
٢٠١٥)، ص ٢٦.

عوامل تحقق هذا السيناريو:

- يعمل لصالح هذا السيناريو عدد من العوامل، وهي:
- استمرار الرخاء الاقتصادي ومصلحة رأس المال في استمرار ظاهرة العولة الاقتصادية.
- تمتع الغرب باستقرار سياسى وحالة توازن اجتماعى داخلى لا يقلقها سوى العوامل الديموجرافية، وظاهرة الهجرة من العالم الثالث.
- استمرار تمتع الطبقات الوسطى بقوة سياسية كبيرة.
- استمرار الإدارة السياسية لدول أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية فى انتهاج سياسات برجماتية مع تحولات طفيفة فى السياسات الانتخابية.
- الانعكاسات المترتبة على السيناريو:
- إلحاق الهزيمة بالقوى الفاشية والعنصرية الجديدة.
- تراجع تدريجى لخطاب الأصولية الدينية.
- تراجع احتمالات الحروب بين الدول الكبرى، مع استمرار الحروب الأهلية والإقليمية والحروب بالوكالة.
- استمرار الهوية بين الشمال المتقدم والجنوب المتخلف.

السيناريو الثانى: انقسام العالم إلى أيديولوجيات دينية:

وصف السيناريو:

- تراجع الأيديولوجيات الكونية وفقاً لهذا السيناريو، وينقسم العالم إلى أيديولوجيات دينية تتصارع فيما بينها. وقد يتبلور الصراع الرئيسى هنا بين الأصولية الإسلامية من ناحية والأصولية المسيحية الأميركية من ناحية أخرى، وقد تبقى الأيديولوجيات الكونية فى أوروبا الغربية على الحياد.

عوامل تحقق السيناريو:

- وجود مؤيدين لهذا السيناريو من المفكرين الأميركيين اليمينيين، الذين طرحوا فكرة صراع الحضارات أو الثقافات أو الأديان كإستراتيجية جديدة للولايات المتحدة.
- عودة نفوذ المحافظين الجدد المتحالفين مع اليمين المسيحي فى أعقاب الانتخابات الرئاسية الأميركية القادمة فى حال فوز مرشح الحزب الجمهوري بها.
- وجود أنصار أقوياء لهذا السيناريو فى العالمين العربي والإسلامي.
- تفاقم أزمة اللاجئين من العالم العربي والإسلامي إلى القارة الأوروبية، بما يساعد على تقوية الأيديولوجيات الدينية واليمينية المتطرفة.

الانعكاسات المترتبة على السيناريو:

- احتلال الأصولية المسيحية صدارة المشهد الأيديولوجي فى الولايات المتحدة الأميركية.
- انتصار الأيديولوجيات العنصرية فى أوروبا الغربية.

- وصول أصوليات أخرى إلى سدة الحكم في عدد من الدول المهمة مثل الهند والصين.
- قد يكون هذا هو سيناريو الكارثة موضوعياً، وقد يشتمل على حروب كونية يكون المسلمون ضحاياها الأساسيين.
- السيناريو الثالث: استعادة الأيديولوجيات التقدمية والإنسانية لزاماً المبادأة السياسية: وصف السيناريو:
- تراجع الأيديولوجيات الكونية أيضاً وفقاً لهذا السيناريو، كما تتراجع الإيديولوجيات الدينية، فيما تتمكن الإيديولوجيات التقدمية والإنسانية من طرح رؤية تقوم على تقوية المصالح المشتركة للبشرية وتستهدف بناء نظام قوى للعدالة والتنمية الدولية.
- شروط تحقق السيناريو:
- تصعد هذه الإيديولوجيات في ظروف الأزمات التي تهدد باشتعال حرب كونية. وتشهد الفترة الراهنة نماذج لتلك الأزمات الخطيرة، كالأزمة الأوكرانية، وأزمات الشرق الأوسط.
- تنفيذ برنامج عالمي للقضاء على الفقر في العالم الثالث تشارك فيه الدول الكبرى والمؤسسات الاقتصادية والمالية الدولية.
- تعزيز القانون الدولي.
- استعادة العدالة المهذرة في الصراع العربي الإسرائيلي، إذ يمثل ذلك شرطاً جوهرياً لتراجع الأصولية الإسلامية.
- التأكيد على التنوع الثقافي، واحترام الآخر.
- الانعكاسات المترتبة على السيناريو:
- انتصار الإيديولوجيات التقدمية والإنسانية الأميركية، وتمكنها من صياغة برنامج واع لإعادة البناء الاقتصادي والسياسي والأخلاقي والثقافي في الولايات المتحدة.
- إعادة توزيع الثروة العالمية، بما يؤدي إلى تحقيق نهوض عالمي متوازن وواسع يقضى على الشعور الطاغى بالظلم والفساد في العالم.
- تراجع الأصوليات الدينية في مختلف مناطق العالم.

خاتمة الدراسة

استعرضت الدراسة مقولات المدخل الإيديولوجي في دراسة العلاقات الدولية، كما قدمت نبذة تاريخية عن تأثير الإيديولوجيا في العلاقات الدولية خلال القرن العشرين. وقد تم في هذه الدراسة تفنيد مقولة نهاية الإيديولوجيا، باعتبارها هي في حد ذاتها مقولة إيديولوجية في ظل ما يشهده العالم من محاولات لتعميم الإيديولوجية الليبرالية، باعتبارها إيديولوجيا القطب المهيمن. كما أوضحت الدراسة الأسباب التي ستمكن الإيديولوجيا من أن تظل عاملاً مؤثراً في العلاقات الدولية، ومن بينها توسيع الهوة بين الشمال المتقدم والجنوب

المتخلف، وصعود الأصوليات الدينية، واليمين السياسي والحركات القومية المتطرفة في مناطق مختلفة من العالم.

كما قدمت الدراسة عدداً من السيناريوهات المستقبلية المتعلقة بتأثير الإيديولوجيا في العلاقات الدولية خلال القرن الحادي والعشرين. وإذا كان السيناريو الأول المتمثل في استمرار قدرة الأيديولوجيات الكونية الكبرى مثل الليبرالية والحفاظ على البقاء ومخاطبة الجماهير هو السيناريو المرجح حدوثه في المستقبل القريب، إلا أن صعود الإيديولوجيات الدينية، وخطورة ما قد تتسبب فيه من حرب كونية كما أوضح السيناريو الثاني يشير إلى أهمية بناء نظام قوى للعدالة والتنمية الدولية، وهو ما تتضمنه إيديولوجيات السيناريو الثالث الذي يجب أن يكون استهدافياً بمعنى العمل المشترك من أجل التوصل إلى ما تستهدفه تلك الإيديولوجيات من تعزيز مفاهيم العيش المشترك والتراث والمصالح المشتركة للبشرية □